

توزع مجاناً
الوارث
٢٦
نشرة شهرية تعنى بمباحث العلوم الشرعية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة
ربيع الأول ١٤٣٢
شباط ٢٠١١
أسعد الله أيامكم
بالمولد النبوي الشريف
لمّا ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوتي به إلى جده وقد بلغه ما قالت أمه، فأخذه ووضعه في حجره ثم قال:
الحمد لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان





الإشراف العام

الشيخ علي الفتلاوي

لجنة التحرير

السيد نبيل الحسني

الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي

خالد جواد جاسم

التنضيد الإلكتروني

محمد رزاق صالح

التصميم والإخراج الفني

احمد محسن المؤذن

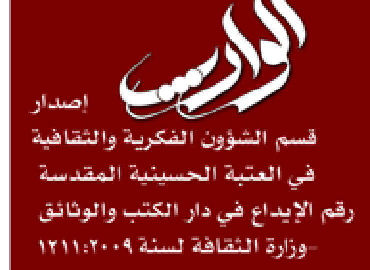
السيد علي ماميثة

تنفيذ

مطبعة دار الضياء



هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم info@imamhussain-lib.org



إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩:١٢١١



رحمة الله في الأرض

بولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افتخرت الرحمة إذ تجسدت في هذا الوليد المبارك الذي وصفه الله تعالى بقوله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم عين الرحمة وليس متصفاً بها فحسب، وهو صلى الله عليه وآله وسلم الرجل البشري في بدنه والإلهي في روحه وعقله الذي جعله الولي سبحانه قدوة وأسوة لبني آدم بل لجميع من له إدراك ومعرفة لما له من الصفات الكاملة التي صرح بها القرآن الكريم إذ يقول:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

ولذا صار لزاماً علينا أن نقتدي بصاحب الرتبة العليا والمنزلة السامية التي عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾

فبهذه المناسبة اغتنم الفرصة لأذكركم جميع من تصل إليه كلمتي أن يسير على نهج هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يبحث عن الفوز في الدنيا والسعادة في الآخرة، وان يجعل سيرته ميزاناً لسيرته وأقواله إطاراً لأقواله، فهو المرآة العاكسة لخلق الله تعالى إذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

(تخلقوا بأخلاق الله).

بعد أن كتب الإمام الحسين عليه السلام كتاباً إلى معاوية بن أبي سفيان يرد فيه على تبجح معاوية وتنكيله بصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتلهم محذّراً إياه من سوء ما اقترفت يداه.

رد معاوية بعد أن قرأ الكتاب قائلاً: لقد كان في نفسه ضبٌّ ما أشعر به.

فقال يزيد: يا أمير المؤمنين أجبه جواباً يصغر إليه نفسه وتذكّر فيه أباه بشرّ فعله.

قال: ودخل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟

قال: وما هو؟

قال: فأقرأه الكتاب، فقال: وما يمنعك أن تجيبه بما يصغر إليه نفسه، وإنما قال ذلك في هوى معاوية.

فقال يزيد: كيف رأيت يا أمير المؤمنين رأيي؟ فضحك معاوية فقال: أمّا يزيد فقد أشار عليّ بمثل رأيك، قال عبد الله: فقد أصاب يزيد، فقال معاوية: أخطأتما، أرأيتما لو أنّي ذهبت لعيب عليّ محقاً ما عسيت أن أقول فيه، ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل، وما لا يعرف، ومتى ما عبت رجلاً بما لا يعرفه النّاس لم يحفل بصاحبه، ولا يراه النّاس شيئاً وكذّبوه، وما عسيت أن أعيب حسيناً، والله ما أرى للعيب فيه موضعاً وقد رأيت أن أكتب إليه أتوعده وأتهدّده، ثمّ رأيت أن لا أفعل ولا أمحكه.

روى الطبري مثله إلاّ أنه قال: (أمّا بعد فقد بلغني كتابك أنه قد بلغك عني أمور أن بي عنها غنى، وزعمت أنا راغب فيها ،وأنا بغيرها عنك جدير).

وساق الحديث نحوا مما مر إلى قوله: وما أرى فيه للعيب موضعا إلا أني قد أردت أن أكتب إليه وأتوعّده وأتهدّده وأسفّهه وأجهّله، ثم رأيت أن لا أفعل.

قال: فما كتب إليه بشيء يسوؤه، ولا قطع عنه شيئاً كان يصله به، كان يبعث إليه في كلّ سنة ألف ألفِ درهم، سوى عروض وهدايا من كلّ ضرب.

وكتب مران بن الحكم إلى معاوية: إني لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة، وأظنّ يومكم من حسين طويلاً.

فكتب معاوية إلى الحسين: إنّ من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء، وقد أنبئت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق!!! وأهل العراق مَن قد جرّبت، قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتق الله واذكر الميثاق فإنك متى تكدني أكدك.

فكتب إليه الحسين عليه السلام:

(أتاني كتابك، وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أدرت لك محاربة ولا عليك خلافا، وما أظن أن لي عند الله عذرا في ترك جهادك!! وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة!!!).

فقال معاوية: إن أثرنا بأبي عبد الله إلاّ اسداً.

قال: وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه، إني لأظن أنّ في رأسك نزوة فوددت أني أدركتها فأغفرها لك.

روى القاضي النعمان المصري كتاباً عن الإمام عليه السلام إلى معاوية ينهاه عن المنكرات قال: وعن الحسين بن علي عليهما السلام أنّه كتب إلى معاوية كتاباً يقرعه فيه ويبكته بأمور صنعها، كان فيه: (ثم وليت ابنك وهو غلام يشرب الشراب ويلهو بالكلاب، فخنت أمانتك وأخربت رعيتك، ولم تؤد نصيحة ربك، فكيف تولي على أمة محمد من يشرب المسكر؟ وشارب المسكر من الفاسقين، وشارب المسكر من الأشرار، وليس شارب المسكر بأمين على درهم فكيف على الأمة؟! فعن قليل ترد على عملك حين تطوى صحائف الاستغفار).

قال الأميني: حجّ معاوية في سنة خمسين، واعتمر في رجب سنة ست وخمسين، وكان في كلا السفرين يسعى وراء بيعة يزيد، وله في ذلك خطوات واسعة ومواقف مع بقية الصحابة ووجوه الأمة، غير أن المؤرخين خلطوا أخبار الرحلتين بعضها ببعض.

وأنّا نذكر مواقف الإمام تجاه معاوية في الرحلة الأولى أولاً، ثم نتبعه بموقفه عليه السلام تجاهه في الرحلة الثانية.



ففي الرحلة الأولى: لما قدم المدينة أرسل إلى الإمام الحسين عليه السلام فخلاّ به فقال له: يا بن أخي قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة من قريش أنت تقودهم، يا بن أخي فما أربك إلى الخلاف؟

قال الحسين عليه السلام:

(أرسل إليهم فإن بايعوك كنت رجلا منهم، وإلا تكن عجّلت علي بأمر).

قال: نعم، فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحدا.

ولكن روى الطبري هذه الواقعة في وقائع سنة ست وخمسين وإليك نصّها: يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدّثنا ابن عون، قال: حدّثني رجل بنخلة، قال: بايع

الناس ليزيد بن معاوية غير الحسين بن علي عليهما السلام وابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عباس؛ فلما قدم معاوية أرسل إلى الحسين بن علي عليهما السلام، فقال: يا بن أخي، قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم؛ يا بن أخي، فما إربك إلى الخلاف؟

قال: (أنا أقودهم!).

قال: نعم، أنت تقودهم.

قال: (فأرسل إليهم، فإن بايعوك كنت رجلا منهم، وإلا لم تكن عجلت عليّ بأمر).

قال: وتفعل؟

قال: (نعم).

قال: فأخذ عليه ألاّ يخبر بحديثهم أحدا، قال: (فالتوى عليه، ثم أعطاه ذلك)، فخرج وقد أقعد له ابن الزبير رجلا بالطريق قال: يقول لك أخوك ابن الزبير: ما كان؟ فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً.

ثم أرسل بعده إلى ابن الزبير، فقال له: قد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم؛ يا بن أخ! فما إربك إلى الخلاف؟

قال: أنا أقودهم؟!

قال: نعم أنت تقودهم.

قال: فأرسل إليهم فإن بايعوا كنت رجلا منهم، وإلاّ لم تكن عجلت عليّ بأمر.

قال: وتفعل؟

قال: نعم.

قال: فأخذ عليه ألا يخبر بحديثهم أحدا؛ قال: يا أمير المؤمنين، نحن في حرم الله عزّ وجل، وعهد الله سبحانه ثقيل، فأبى عليه، وخرج.

ثم أرسل بعده إلى ابن عمر فكلمه بكلام هو ألين من كلام صاحبه، فقال: إني أرهب أن أدع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعدي كالضأن لا راعي لها، وقد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم، فما إربك إلى الخلاف!

قال: هل لك في أمر يذهب الذم، ويحقن الدم، وتدرك به حاجتك؟

قال: وددت!

قال تبرز سريرك، ثم أجيء فأبايعك، على أني أدخل بعدك فيما تجتمع عليه الأمة، فو الله لو أنّ الأمة اجتمعتْ بعدك على عبد حبشيّ لدخلتُ فيما تدخل فيه الأمة.

قال: وتفعل؟

قال: نعم ثم خرج فأتى منزله فأطبق بابه، وجعل الناس يجيئون فلا يأذن لهم.

فلما كان صبيحة اليوم الثاني أرسل إلى الحسين بن علي عليهما السلام وإلى ابن عباس، فسبق ابن عباس فحادثه ملياً حتى أقبل الحسين عليه السلام، فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت عن يمينه فدخل الحسين وسلّم، فأشار إليه فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة فسأله عن حال بني أخيه الحسن عليه السلام ثم خطب خطبة في أمر الخلافة وبيعة ابنه يزيد وذكر فضائله وطلب منه البيعة له فتيسّر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة، فأشار إليه الحسين عليه السلام وقال:

(على رسلك، فأنا المراد، ونصيبي في التهمة أوفر).

فأمسك ابن عباس، فقام الحسين عليه السلام فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال:

(أما بعد: يا معاوية! فلن يؤدي القائل وإن أطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع جزءا، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة، وهيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوبا، أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصرا، ودع عنك ما تحاول.

فما أغناك أن تلقى الله جور هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فو الله ما برحت تقدر باطلاً في جور، وحنقا في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر، ومنعتنا عن آبائنا، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولادة، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول، فأذعن للحجة بذلك، ورده الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعاليل وفعلتم الأفاعيل، وقلتم: كان ويكون حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار، وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأميره له، وقد كان ذلك لعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول، وبيعته له، وما صار لعمرو يومئذ حتى أنف القوم إمرته، وكرهوا تقديمه، وعدوا عليه أفعاله فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري، فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابع وحولك من لا يؤمن في صحبته، ولا يعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه وتشقى بها في آخرتك، إن هذا لهو الخسران المبين، وأستغفر الله لي ولكم).[1]

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٥٦ . ٢٦٢.

الفروق الحقيقية بين المكي والمدني

لم نجد من الشبهات التي تناولناها ولا نجد في غيرها ما يمكنه أن يصمد أمام النقد العلمي أو الدرس الموضوعي، ولكن مع كل ذلك يجدر بنا أن نقدم تفسيراً منطقياً لظاهرة الفرق بين القسم المكي والقسم المدني وإن كنا قد ألمحنا إلى جانب من هذا التفسير عندما تناولنا الشبهات بالنقد والمناقشة.

ويحسن بنا ـ قبل ذلك ـ أن نذكر الفروق الحقيقية التي امتاز بها المكي عن المدني سواء ما يتعلق بالأسلوب، أو بالموضوع الذي تناوله القرآن، ثم نفسر هذه الفروق على أساس الفكرة التي أشرنا إليها في صدر البحث والتي تقول إن هذه الفروق كانت نتيجة لمراعاة ظروف الدعوة والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، لأن الهدف والغاية يلقيان ـ في كثير من الأحيان ـ بظلهما على أسلوب العرض والمادة المعروفة.

وتلخص هذه الفروق والخصائص التي يمتاز بها المكي عن المدني غالباً بالأمور التالية.

١ـ إن القسم المكي عالج بشكل أساسي مبادئ الشرك والوثنية وأسسها النفسية والفكرية ومؤداها الأخلاقي والاجتماعي.

٢ـ وقد أكد على ما في الكون من بدائع الخلقة وعجائب التكوين، الأمر الذي يشهد بوجود الخالق المدبر لها كما أكد على (عالم الغيب) و(البعث والجزاء) و(الوحي) و(النبوات) وشرح ما يرتبط بذلك من أدلة وبراهين، كما خاطب الوجدان الإنساني وما أودعه الله فيه من عقل وحكمة وشعور.

٣ـ وإلى جانب ذلك تحدثت عن الأخلاق بمفاهيمها العامة مع ملاحظة مصاديقها الخارجية والجانب التطبيقي منها في المجتمع وحذر من الانحراف، وذلك مثل الكفر والعصيان والجهل والعدوان والكبر وسفك الدماء ووأد البنات واستباحة الأعراض وأكل أموال اليتامى ونقص الموازين وقطيعة الأرحام.

إلى غير ذلك من موارد الطغيان والهوى وعرض إلى جانب ذلك الوجه الصحيح للأخلاق كالإيمان بالله والطاعة له والعلم والعقل والمحبة والرحمة والعفو والصبر والإخلاص والعزم والإرادة والشكر واحترام الآخرين وبر الوالدين وإكرام الجار وطهارة القلب واللسان والصدق في المعاملة والتوكل على الله وغير ذلك من موارد الخير والصلاة.

٤ـ وقد تحدث عن قصص الأنبياء والرسل والمواقف المختلفة التي كانوا يواجهونها من قبل أقوامهم وأممهم في معركة الإيمان والكفر وما يستنبط من ذلك من العبر والمواعظ.

٥ـ إنه سلك طريق الإيقاع الصوتي والإيجاز في الخطاب سواء في الآيات أو السور.

ويكاد أن يكون المدين بخلاف ذلك في هذه الأمور على الغالب، وإن كان قد امتاز بالأمور التالية:

أولا: دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام مع مناقشتهم وبيان انحرافهم عن العقيدة والمناهج الحقة التي أنزلت على أنبيائهم.

ثانيا: بيان التفصيلات في التشريع التي تتناول الفرد والجماعة ونظام الحكم ومعالجة مشاكل العلاقات المختلفة في المجتمع الإنساني مثل علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المؤمنين ببعضهم وعلاقتهم مع أعدائهم الداخليين والخارجيين ومع المحايدين، والعلاقات الزوجية والدولية، والحرب والهدنة والمعاهدات وغيرها، وتحديد المواقف السياسية والقانونية والأخلاقية منها.

ثالثا: تناول حركة النفاق في المجتمع الإسلامي وخلفياتها الأخلاقية والسياسية وأهدافها وظواهرها والموقف السياسي منها.

التفسير الصحيح للفرق بين المكي والمدني

وحين نريد أن ندرس ظاهرة الفرق بين المكي والمدني من خلال هذه الخصائص والميزات نجد:

أولا: إن هذه الفروق لا تشكل حداً فاصلاً بين هذين القسمين في القرآن الكريم، وإنما هي طابع عام لكل من القسمين، وإلا فنحن نلاحظ أن كلا من القسمين تناول بعض أو كل الجوانب الأخرى للقسم الثاني، بشكل أو بآخر، انسجاماً مع الأسلوب القرآني العام، الذي تميز بمزج الأفكار والمفاهيم ليوجد منها هذا التركيب الفريد المؤثر في عملية التغيير كما أسلفنا.



ثانيا: إن الدعوة الإسلامية بدأت في مكة وعاشت فيها ثلاث عشرة سنة وهذه الفترة المنسوبة إلى زمن نزول القرآن تعد في الحقيقة فترة إرساء أسس القواعد والمفاهيم العامة عن العقيدة الإلهية أو عالم الغيب أو الأخلاق أو السنن والقوانين التاريخية التي تحكم مسيرة التاريخ والمجتمع الإنساني.

وسواء ما يتعلق بالجانب الإيجابي من ذلك كعرض مفاهيم الإسلام عن الكون والحياة والأخلاق والمجتمع، أو ما يتعلق بالجانب السلبي كمناقشة الأفكار الكافرة أو المنحرفة والباطلة التي كانت تسود المجتمع آنذاك.

وهذه الحقيقة تفرض ـ بطبيعة الحال ـ أن يكون القسم المكي مرتبطاً بمادته وموضوعاته بالأسس والركائز للرسالة الجديدة بحيث يكون أكثر شمولاً واتساعاً في تناوله لهذا الجانب من جانب آخر، وهذا هو الذي يفسر لنا أيضاً غلبة المكي على المدني من الناحية الكمية، مع أن الفترة المدنية تبدو ـ تاريخياً ـ وكأنها زاخرة بالأحداث الجسام، والمجتمع المدني أكثر تعقيداً ومشاكل، لأن القرآن في القسم المدني لم يكن بحاجة كبيرة إلى تناول تلك الأسس والركائز بعد أن كان قد تناولها



في القسم المكي باستيعاب.

وثالثا: إن عملية التغيير الاجتماعي كانت بحاجة ـ على أساس الفكرة التي أشرنا إليها في بداية هذا الفصل ـ إلى أن تهتم بمراعاة الظروف وطبيعة المجتمع التي تتناوله عملية التغيير وتركز على القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية والأمراض الأخلاقية التي يعيشها ذلك المجتمع حتى يتحقق هذا التغيير بشكل مناسب.

وبذلك يمكن تفسير الخصائص السابقة التي أشرنا إليها في الفرق بين المكي والمدني.

فأما بالنسبة إلى الخصيصة الأولى: نلاحظ أن المجتمع المكي كان مجتمعاً يتسم بطابع الوثنية في الجانب العقيدي، فكان من الطبيعي التأكيد على فكرة رفض الشرك والوثنية والدخول في مناقشة طويلة معها بشتى الأساليب والطرق، بالإضافة إلى أن إيضاح الموقف تجاه عقيدة الوثنية يشكّل نقطة أساسية في القاعدة للرسالة الجديدة لأنها تتبنى التوحيد الخالص كأساس لكل جوانبها وتفصيلاتها الأخرى.

وبالنسبة إلى الخصيصة الثانية: نلاحظ أن المجتمع المكي لم يكن يؤمن بفكرة الإله الواحد، كما لا يؤمن بعوالم الغيب والبعث والجزاء والوحي وغير ذلك من شؤون عالم الغيب والتأثير المتبادل بينه وبين عالم الطبيعة وحياة الإنسان الاجتماعي، وهذه الأفكار من القواعد الأساسية للرسالة والعقيدة الإسلامية.

بالإضافة إلى أن مجتمع أهل الكتاب كان يؤمن بهذه الأصول جميعها مع بعض الاختلاف في تفصيلها، فكان من الضروري أن يؤكد القسم المكي على تأسيس هذه الأصول وتوضيح المفاهيم العامة عنها انسجاماً مع طبيعة المرحلة المكية التي تعد مرحلة متقدمة، كما أن بيانها في هذه المرحلة يجعل المرحلة الثانية المدنية في غنى عن بيانها مرة أخرى، وتكون الحاجة حينئذ إلى تناول التفصيلات الأخرى التي هي محل الاختلاف مع أهل الكتاب.

وبالنسبة إلى الخصيصة الثالثة: فلعل التأكيد على الأخلاق في القسم المكي دون المدني كان بسبب العوامل الثلاثة التالية:

ألف: إن الأخلاق تعتبر قاعدة النظام الاجتماعي في نظر الإسلام، بالإضافة إلى أنها هدف رسالي في تغيير الإنسان وتربيته وتكامله، فالتأكيد عليها يعني في الحقيقة إرساء لقاعدة النظام الاجتماعي الذي يستهدفه القرآن وتحقيقاً للهدف في تربية الإنسان وتكميله.

باء: إن الدعوة كانت بحاجة ـ من أجل نجاحها ـ إلى استثارة العواطف الإنسانية الخيّرة والفطرة السليمة ليكون نفوذها في المجتمع وتأثيرها في الأفراد عن طريق مخاطبة هذه العواطف، والأخلاق هي الأساس الحقيقي لكل هذه العواطف وهي الرصيد الذي يمدّها بالحياة والنمو.

جيم: إن المجتمع المدني كان يمارس الأخلاق من خلال التطبيق الذي كان يباشره الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه من خلال موقعه في قمة المجتمع الإسلامي، وبذلك يكون القدوة الطبيعية لهذا المجتمع، أو من خلال تطبيقه لهذه الأخلاق عملياً في العلاقات الاجتماعية القائمة بعد أن تكوّن المجتمع الإسلامي وقامت أركانه، فلم يَكن بحاجة بنفس الدرجة إلى التأكيد على المفاهيم الأخلاقية، على العكس من المجتمع المكي الذي كان يعيش فيه المسلمون حياة الاضطهاد، وكان المجتمع يمارس التطبيق فيه للأخلاق الجاهلية، حيث يكون المجتمع بحاجة إلى التأكيد المفاهيمي للأخلاق.

وبالنسبة للخصيصة الرابعة: نجد القصص تتناول من حيث الموضوع أكثر القضايا والنواحي التي عالجها القرآن الكريم من العقيدة بالإله الواحد وعالم الغيب والوحي والأخلاق والبعث والجزاء، بالإضافة إلى أنها تصوّر المراحل المتعددة للدعوة والمواقف المختلفة منها والقوانين الاجتماعية والتاريخية التي تتحكم فيها وفي نتائجها والمصير الذي يواجهه أعداؤها.

وإلى جانب ذلك تعتبر القصة في القرآن أحد أسباب الإعجاز فيه، وأحد الأدلة على ارتباطه بالسماء كما سوف نتعرف على ذلك.

وكل هذه الأمور لها صلة وثيقة بالظروف التي كانت تمرّ بها الدعوة والرسالة الإسلامية في مكة ولها تأثير كبير في تطويرها لصالح الدعوة وأهدافها الرئيسية.

ومع كل هذا لم يهمل القسم المدني القصة مطلقة بل تناولها بالشكل الذي ينسجم مع طبيعة المرحلة التي تمر بها كما سوف نتعرف على ذلك عند دراستنا للقصة.

وبالنسبة إلى الخصيصة الخامسة: فقد كان لها ارتباط وثيق بجوانب مرحلية واعجازية، لأن المرحلة كانت تفرض كسر طوق الأفكار الجاهلية الذي كان مضروبا على المجتمع، فكان لهذا الأسلوب الصاعق الحاد تأثير فعال في تذليل الصعوبات وتحطيم معنويات المقاومة المضادة العنيفة.

وحين يتحدّى القرآن الكريم العرب في أن يأتوا بسورة منه، يكون الإيجاز في السورة أبلغ في إيضاح الإعجاز القرآني وأعمق تأثيراً وأبعد مدى.

وقد كانت المعركة إلى ذلك كله في أولها معركة شعارات وتوطيد مفاهيم عامة عن الكون والحياة، والإيجاز والقصر ينسجم مع واقع المعركة وإطارها أكثر من الدخول في تفصيلات واسعة، ولهذا نشاهد السور القصيرة تمثل المرحلة الأولى تقريباً من مراحل القسم المكي.

وهذه الأبعاد لم تكن تتوفر في مجتمع المدينة بعد أن أصبح الإسلام هو الحاكم المسيطر على المجتمع، وبعد أن أصبحت مسألة الوحي والاتصال بالسماء مسألة واضحة، وبعد أن جاء دور آخر للمعركة يفرض أسلوباً آخر في العرض والبيان.(1)

---

(١) علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم:٢٢٨-٢٣٤.



تقدم في العدد السابق الكلام عن موضوع المغيبات في نصوص وكلماته نهج البلاغة، وذكرنا ثلاثة نماذج من الأمور التي اخبر بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قبل فترة طويلة من تاريخ وقوعها، فكانت تلك الحوادث دليل صدق على امتلاكه وارتباطه صلوات الله وسلامه عليه بمصدر الغيب بوصفه إماما مفترض الطاعة أعطي إمكانية الارتباط بعالم الغيب بما يخدم كمال الإنسانية، وفيما يلي جملة أخرى من تلك المغيبات التي اخبر بها الإمام أمير المؤمنين وثبت وقوعها بحسب الوثائق التاريخية، ومن هذه المغيبات ما يلي:

إخباره عليه السلام بما سيحل بالكوفة من الخراب

قال عليه السلام: «كأني بك يا كوفة تمدين من الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل، وتركبين بالزلازل، وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل».

وقد صدقت الحوادث نبوءته، فقد تعاقب على الكوفة سلسلة من ولاة الجور، وأعوان الظلمة، أذاقوها الموت وساموها العذاب، فزياد ابن أبيه، وعبيد الله بن زياد، والحجاج، ويوسف بن عمرو، والمغيرة ابن شعبة، وخالد بن عبد الله القسري وأضرابهم.... كلهم أقاموا الحكم في الكوفة على ركام من الجماجم وأنهار من الدماء.

إخباره عليه السلام بتغلب معاوية على الإمارة وسيطرته على الكوفة

قال عليه السلام: «أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه. ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني، أما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، أما البراءة فلا تتبرؤوا مني، فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة».

وهذه النبوءة تحققت بتمامها، فقد استولى معاوية بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام على كرسي الحكم، وأمر الناس بسب الإمام صلوات الله وسلامه عليه، والبراءة منه، وقتل طائفة من عظماء أصحابه عليه السلام لأنهم ثبتوا على ولائه فلم يتبرؤوا منه، منهم حجر بن عدي الكندي وجماعة، وقال قوم إن المعني بهذا الكلام زياد بن أبيه، وقال قوم. إنه المغيرة ابن شعبة، وكل ولي الكوفة، وأمر بالسب والبراءة.

إخباره عليه السلام بمصير الخوارج من بعده

قال عليه السلام لما قتل الخوارج وقيل له: هلك القوم بأجمعهم:«كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين».

وقد صحت نبوءته، فلم يمض زمن طويل حتى نجم أمرهم مرة أخرى واستمرت بينهم وبين السلطات المركزية المتعاقبة حروب طاحنة، وكانت نهايتهم أن صاروا قطاع طرق ولصوصاً سلابين.

وقد تنبأ بعدد من يقتل من أصحابه وبقدر من يبقي من الخوارج قبل أن يشتبك معه في النهروان، فقال: «مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة». فلم يقتل من أصحاب الإمام إلا ثمانية، ولم ينج من الخوارج إلا تسعة.

مغيبات أخرى ذكرها ابن أبي الحديد

أن الشريف رحمه الله لم يذكر في نهج البلاغة كل ما صح عن أمير المؤمنين من أخباره بالمغيبات، ولكن ابن أبي الحديد قد سد هذا النقص حين أفاض في ذكر ما صح عنه عليه السلام في هذا الباب.

ولابن أبي الحديد هذا نص طويل



ذكر فيه طائفة كبيرة من إخبارات الإمام بالمغيبات، نذكره لطرافته، ولما له من الصلة ببحثنا هذا، على أن نتبعه بذكر ما أهمل ابن أبي الحديد ذكره في هذا النص وذكره في مناسبات أخرى. قال: «... وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادعاء الربوبية ولا ادعاء النبوة، ولكنه كان يقول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك، ولقد امتحنا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة.

«كإخباره عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب لحيته».

«وإخباره عن قتل الحسين ابنه عليهم السلام، وما قاله في كربلاء حيث مر بها».

«وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده».

«وإخباره عن الحجاج وعن يوسف بن عمرو».

«وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان».

«وما قدمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب».

«وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين». «وإخباره بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها».

«وإخباره عن عبد الله بن الزبير وقوله فيه: «خب ضب، يروم أمراً ولا يدركه، ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش».

«وكإخباره عن هلاك البصرة بالغرق وهلاكها تارة أخرى بالزنج...»

«وكإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان، وتنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببني رُزيق. بتقديم المهملة. وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده وإسحق بن إبراهيم، وكانوا وسلفهم دعاة الدولة العباسية».

«وكإخباره عن الأئمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعي وغيرهما في قوله عليه السلام: وإن لآل محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذا شاء، دعاؤه حق، حتى يقوم بإذن الله فيدعو إلى دين الله».

«وكإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة وقوله إنه يقتل عند أحجار الزيت».

«وكقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباخمرا: «يقتل بعد أن يظهر ويُقهر بعد أن يَقهر». وقوله فيه أيضاً: «يأتيه سهم غرب تكون فيه منيته، فيا بؤساً للرامي شلت يده ووهن عضده». «وكإخباره عن قتلى وج وقوله فيهم: هم خير أهل الأرض».

«كإخباره عن بني بويه وقوله فيهم: «ويخرج من ديلمان بنو الصياد» إشارة إليهم، وكان أبوهم صياد السمك، يصيد منه بيده ما يتقوت هو وعياله بثمنه، فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذريتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم. وكقوله عليه السلام فيهم: «ثم يستشري أمرهم حتى يملكوا الزوراء ويخلعوا الخلفاء»، فقال له قائل: فكم مدتهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: «مائة أو تزيد قليلاً».

«وكإخباره عليه السلام لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الأمر إلى أولاده، فإن علي بن عبد الله لما ولد أخرجه أبوه عبد الله إلى علي عليه السلام، فأخذه وتفل في فيه وحنكه بتمرة قد لاكها، ودفعه إليه وقال: خذ إليك أبا الأملاك».

وقال ابن أبي الحديد: «.. والمراد بقوله: فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، ما اختص به من العلم بمستقبل الأمور ولا سيما في الملاحم والدول، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الأخبار بالغيوب المتكررة لا مرة ولا مائة مرة حتى زال الشك والريب في أنه إخبار عن علم وليس على طريق الصدفة والاتفاق».

هذه بعض المغيبات التي ورد ذكرها في نهج البلاغة وقد تركنا كثيرا منها روما للاختصار.[1]

---

(١) دراسات في نهج البلاغة للشيخ محمد مهدي شمس الدين.

عـرض أعمـال العبـاد على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» والأئمة «عليهم السلام»

إن مسـألة عـرض الأعمـال علـى النبي الأكـرم «صلـى الله عليه وآلـه» وعلى الأئمة الميامـين «صلـوات الله وسـلامه عليهـم أجمعين» هي من المسـائل الـتي ينبغي على المؤمـن معرفتها والتأمل فيهـا لأهميتها من الناحيـة التربويـة والأخلاقيـة والعقائدية، ومسـألة عرض الأعمال مما اجتمعت عليه كلمة الشيعة الإمامية ومما ورد فيها أحاديث مسـتفيضة عن الأئمـة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولأهل السنة أيضا أحاديـث كثـيرة تحدثت عن مسـألة عرض الأعمـال علـى الرسـول الأعظـم صلى الله عليه وآلـه وعلى الأقارب من الأموات وعلى أصدقاء الإنسان ومعارفه، وستأتي الإشارة إلى ذلـك لاحقا، إذن فأصل مسـألة عرض الأعمـال هـي مـن المسـائل الـتي اجتمعت عليهـا كلمة المسـلمين سـنة وشـيعة ولكنهم اختلفوا في بعض التفاصيل.

الآيـات القرآنية الـتي تحدثت عـن مسألة العرض

قال تعالى في سـورة التوبة «الآية ١٠٥»: ((وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)).

وقـال تعـالى أيضا في سـورة التوبـة الآيـة ٩٤: ((وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)).

وقـد تحدثـت آيات أخـرى عن مسـألة شـهادة كل نبي ورسـول على أمته، وشـهادة رسولنا الأعظم على أمته منذ بعثته المباركة والى يـوم القيامـة، كمـا وتحدثـت الآيـات الكريمة عن وجود شهداء آخرين إضافة إلى شـهادة النبي الأعظم صلـى الله عليه وآله، ولكنهـا لم تسـمهم، وقـد تكفلـت الأحاديث والروايـات بذكرهم وتفصيـل أخبارهم كما سـنعرف لاحقـا، ومـن تلـك الآيـات الـتي تحدثـت عن شـهادة الأنبيـاء وغيرهم على أممهـم قوله تعالى في سـورة النسـاء «الآية رقـم ٤١» ((فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا)).

وقال تعالى في سـورة النحل «الآية ٨٩»: ((وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ)).

وقـال تعالى في سـورة القصـص «الآية رقـم ٧٥»: ((وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ سَرۡمَدًا)).

ووجود شـهداء علـى الأمم وعلـى امتنا يسـتلزم اطلاع الشـاهد على أعمـال أفراد الأمـة فردا فـردا أو بالجملة، فلـو لم يطلع على أعمالهم ومكنونات ضمائرهم لما أمكن له الشـهادة، إذ الشـاهد لابد أن يشهد عن علم واطلاع تام لا عن ظن وتقدير.

روايات أهل البيت عليهم السلام التي تحدثت عن مسألة عرض الأعمال

كثـيرة هـي الأحاديث الـتي تحدثت عن مسألة عرض الأعمال على رسول الله «صلى الله عليـه وآله» وعلى الأئمـة كلهم «صلوات الله وسـلامه عليهم»، وقد صرح السيد ابن طاووس في (سعد السعود ص٩٧): (روي من اثني عشـر طريقا أن الأعمـال تعرض على رسـول الله «صلى الله عليه وآله» بعد وفاته وفي عـدة روايات منها ان المؤمنين المذكورين في الآيـة الذيـن تعرض الأعمـال عليهم هم الأئمـة من آل محمد «صلوات الله وسـلامه عليهـم أجمعين»)، وفيما يلي جملة من تلك الروايات الشريفة.

منها ما أخرجه الشـيخ الكليني في كتابه الكافي: (عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السـلام قال: سمعته يقول: مالكم تسـوءون رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال رجل: كيف نسـوؤه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعـرض عليـه، فإذا رأى فيها معصية سـاءه ذلك، فلا تسوءوا رسول الله وسروه).

وقـد صرحـت بعض الأحاديـث الأخرى بان الأعمال تعرض على أمير المؤمنين عليه السلام، منها حديث: (يحيى بن مساور، عن أبـي جعفر عليه السـلام أنه ذكر هذه الآية: ((فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ)) قـال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام).

وفي أحاديـث أخـرى إن أعمـال كل قوم تعرض علـى إمام زمانهم، ومنها ما تحدث عـن عرضهـا علـى سـائر الأئمـة أحيائهم وأمواتهم، ومن تلك الأحاديث ما تحدث عن زمـن العرض وقد حدد في يوم الخميس من كل أسـبوع، وفي أحاديـث أخرى انها تعرض عليهـم في كل يـوم إلى يوم القيامـة، فعن: (معلـى بـن خنيس عـن أبي عبـد الله عليه السـلام في قـول الله تبـارك وتعالى ((وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ)) قـال هـو رسـول الله صلـى الله عليـه وآله والأئمـة تعـرض عليهـم أعمـال العبـاد كل خميس).

وعن: (عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد

الله قوله ((وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ)) قال هم الأئمة تعرض عليهم أعمال العباد كل يوم إلى يوم القيامة).

وعن (بريد العجلي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام ((ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ)) قال ما من مؤمن يموت ولا كافر فيوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي عليه السلام فهلم جرا إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد).

فينبغي والحال هذه على سائر أهل الإيمان اتخاذ الحيطة والحذر، والانتباه إلى مطلق أعمالهم وتصرفاتهم وكلماتهم، لان جميع ذلك يعرض على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وعلى سائر الأئمة عليهم الصلاة والسلام، وكذلك ينبغي على سائر المؤمنين أن يركزوا في نفوسهم ويستشعروا هذا المعنى وان يتحسسوا مراقبة الله سبحانه ورسوله وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، في كل لحظة من لحظات حياتهم، وعليهم أن يحسنوا التصرف وان يطهروا نواياهم وسرائرهم لتسر بهم قلوب أولئك الأطهار عليهم السلام وأرواحهم، وان لا يعملوا عملا يغضب رسول الله وبقية المعصومين لان في غضبهم غضب الله سبحانه ونقمته وعذابه، بالإضافة إلي ان لغضبهم عليهم الصلاة والسلام آثاراً على حياة الإنسان اليومية وفيه سلباً للأرزاق والتوفيق وغير ذلك من الآثار السلبية، كما ان في رضاهم فتحاً لأبواب الخير والسعادة الدنيوية والأخروية.

روايات أهل السنة التي تحدثت عن عرض الأعمال

تحدثت الروايات الواردة عن طريق أهل السنة عن موضوع عرض الأعمال بشكل اقل تفصيلا مما تحدثت عنه كتب الشيعة وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إلا ان هذا المقدار يعد كافياً لإثبات أصل موضوع العرض، لان أهل السنة لا يعتبرون الكثرة في الأحاديث معيارا لإثبات الأحكام الشرعية أو العقائدية، لاعتقادهم بحجية خبر الواحد، فإذا ورد خبر واحد صحيح في مسألة فقهية أو عقائدية فهو يعد كافياً لإثبات ذلك الحكم الشرعي أو تلك المسألة العقائدية، وعليه فمسألة عرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى بعض العباد تكون ثابتة قطعا لورود عدة أحاديث ثابتة عندهم تقر وتثبت هذه المسألة، وفيما يلي جملة من تلك الأحاديث المثبتة لهذه الحقيقة.

أخرج الهيثمي في «مجمع الزوائد ج ٩ ص٢٤»: (عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم قال إن لله ملائكة سياحين يبلغون عن أمتي السلام، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: حياتي خير لكم تحدثون وتحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم) ثم علق الهيثمي على هذا الحديث بالقول: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح).

وفي صحيح «ج ٢ ص ٧٧»: (عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم قال عرضت عليّ أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق...).

وفي مسند احمد بن حنبل «ج ٣ ص ١٦٥» عن: (أنس بن مالك يقول قال النبي صلى الله عليه – وآله - وسلم ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا).

وفي كنز العمال للمتقي الهندي «ج١٥ ص٦٨٥»: (لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم، فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور (الديلمي - عن أبي هريرة)، وفي نفس المصدر: (فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فان أعمالكم تعرض عليهم (ك - عن النعمان بن بشير)

وفي الجامع الصغير للسيوطي «ج١ ص٥٠٩»: (عرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم).

وقال المناوي في « فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٣ ص٣٣٠»: («تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء» أي الرسل أي يعرض عمل كل أمة على نبيها «وعلى الآباء والأمهات» أي يعرض عمل كل فرع على أصله والكلام في أصل مسلم «يوم الجمعة» أي يوم كل جمعة «فيفرحون» يعني الآباء والأمهات ويمكن رجوعه إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا «بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا» والمراد وجوده أرواحهم أي ذواتها أي ويحزنون بسيئاتهم كما يدل عليه قوله «فاتقوا الله» خافوه «ولا تؤذوا موتاكم» الذين يقع العرض عليهم بارتكاب المعاصي. وفائدة العرض عليهم إظهار الله للأموات عذره فيما يعامل به أحياءهم من عاجل العقوبات وأنواع البليات في الدنيا فلو بلغهم ذلك من غير عرض أعمالهم عليهم لكان وجدهم أشد...).

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى «ج٢٤ ص٣٣٠»: (قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات).

فيتضح مما سبق ان مسألة عرض الأعمال على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وعلى بعض الأموات هي مسألة أجمعت عليها كلمة المسلمين بجميع طوائفهم، وقد صرح بوقوعها ابن تيمية على الرغم من تعصبه، فعليه لا يبقى أي شك أو إشكال بإمكان عرضها على أئمة أهل البيت حيهم وميتهم، بوصفهم حجج الله على العباد كافة، وهم الشهداء الذين تحدثت عنهم الآيات القرآنية التي تقدم ذكرها، فلابد من الاطلاع لتصح الشهادة منهم صلوات الله وسلامه عليهم.



الفرق بين الفضيلة والرذيلة

قـد دريت إجمـالاً أن الفضائل المذكورة ملـكات مخصوصـة، لهـا آثـار معلومـة، وربما صدر عن بعض الناس أفعال شـبيهة بالفضائـل، وليسـت بهـا فلابـد مـن بيان الفرق بينهما لئلا يشتبه على الغافل فيضل ويضل، فنقول:

قـد عرفـت أن فضيلـة الحكمـة عبارة عـن العلم بأعيـان الموجـودات على ما هي عليـه، وهو لا ينفك عن اليقين والطمأنينة، فمجـرد أخذ بعض المسـائل وتقريرها على وجـه لائق من دون وثوق النفس واطمئنانها ليسـت حكمة، والآخذ بمثلـه ليس حكيماً، إذ حقيقـة الحكمـة لا تنفـك عـن الإذعان القطعـي واليقيـني وهمـا مفقـودان فيـه، فمثلـه كمثل الأطفال في التشـبه بالرجال، أو بعض الحيوانات في محاكاة ما للإنسـان من الأقوال والأفعال.

وأمـا فضيلـة العفـة، فقد عرفـت أنها عبـارة عـن ملكـة انقيـاد القـوة الشـهوية للعقـل، حتـى يكون تصرفها مقصـوراً، على أمـره ونهيه، فيقـدم على ما فيـه المصلحة وينزجـر عمـا يتضمـن المفسـدة بتجويزه، ولا يخالفـه في أوامـره ونواهيه، وينبغي أن يكون الباعث للاتصاف بتلك الملكة وصدور آثارهـا مجرد كونها فضيلـة وكمالاً للنفس وحصـول السـعادة الحقيقية بها، لا شـيء آخـر مـن دفع ضـر، أو جلـب نفع، أو اضطـرار وإلجـاء، فالأعراض عـن اللذات الدنيويـة لتحصيل الأزيد من جنسـها ليس عفـة، كمـا هـو شـأن بعـض تاركـي الدنيا للدنيـا وكـذا الحال في تركهـا لخمود القوة وقصورهـا وضعـف الآلـة وفتورهـا، أو لحصول النفرة من كثرة تعاطيها، أو للحذر من حـدوث الأمراض والأسـقام، أو اطلاع الناس وتوبيخهم، أو لعدم درك تلك اللذات كما هو شأن بعض أهالي الجبال والبوادي... إلى غير ذلك.

وأمـا فضيلـة الشـجاعة، فقـد عرفت أنها ملكـة انقيـاد القـوة الغضبيـة للعقـل حتـى يكـون تصرفها بحسـب أمـره ونهيه، ولا يكـون للاتصـاف بهـا وصـدور آثارهـا داع سـوى كونهـا كمالاً وفضيلـة، فالإقدام علـى الأمور الهائلـة، والخوض في الحروب العظيمة، وعدم المبالاة من الضرب والقطع والقتـل لتحصيـل الجـاه والمـال، أو الظفر بامـرأة ذات جمال، أو للحذر من السـلطان ومثله، أو للشـهوة بين أبناء جنسـه، ليست صادرة عن ملكة الشجاعة، بل منشأها إما رذيلة الشره أو الجبن، كما هو شأن عساكر الجائريـن، وقاطعـي الطـرق والسـارقين، فمـن كان أكثـر خوضاً في الأهوال، وأشـد جـرأة على الأبطال للوصول إلى شـيء من تلك الأغراض، فهـو أكثر جبناً وحرصاً، لا أكثر شجاعة ونجدة.

وقـس علـى ذلـك الوقوع في المهـالـك والأهـوال، تعصبـاً عـن الأقـارب والأتبـاع، وربمـا كـان باعثـه تكـرر ذلـك منه مـع حصـول الغلبة، فاغتر بذلـك ولم يبال بالإقـدام اتكالاً على العـادة الجارية، ومثله مثل رجل ذي سلاح لم يبال بالمحاربة مع طفل أعزل، فإن عدم الحذر منه ليس لشجاعته، بل لعجز الطفل، ومن هذا القبيل ما يصدر عـن بعض الحيوانات من الصولة والإقدام، فإنـه ليس صـادراً من ملكة الشـجاعة، بل عن طبيعة القوة والغلبة.

وبالجملـة: الشـجاع الواقعي مـا كانت أفعالـه صـادرة عن إشـارة العقـل ولم يكن له باعث سـوى كونها جميلة حسـنة، فربما كان الحذر عن بعض الأهوال من مقتضيات العقـل فلا ينـافي الشـجاعة، وربما لم يكن الخـوض في بعـض الأخطـار مـن موجباته فينافيهـا، ولـذا قيـل عدم الفزع من شـدة الزلازل وتواتر الصواعق من علائم الجنون دون الشـجاعة، وإيقـاع النفس في الهلكات بـلا داع عقلي أو شـرعي كتعرضه للسـباع المؤذية، أو إلقاء نفسه من المواضع الشاهقة



أو في البحار والشطوط الغامرة من دون علم بالسباحة من إمارات والحماقة.

ثم الشجاع الحقيقي من كان حذره من العار والفضيحة أكثر من خوفه من الموت والهلاك، فمن لا يبالي بذهاب شرفه، وفضيحة أهله وحرمه، فهو من أهل الجنون والحماقة، ولا يستحق اسم العقل والشجاعة، كيف والموت عند الشجاع مع بقاء الفضيلة أحسن من الحياة بدونها، ولذا يختار الموت الجميل على الحياة القبيحة.

على أن الشجاعة في المبادئ ربما كانت مؤذية، وإنما تظهر لذتها في العاقبة (لا) سيما إذا حصلت بها الحماية عن الدين والملة، والذب عن العقائد الحقة، فإن الشجاع لحبه الجميل وثباته على الرأي الصحيح إذا علم أن عمره في معرض الزوال والدثور، وأثر الفعل الجميل يبقى على مر الدهور، يختار الجميل الباقي على الرذيل الفاني، فيحامي عن دينه وشريعته، ولا يبالي بما يحذر منه غيره من أبناء طبيعته، لعلمه بأن الجبان المقصر في حماية الدين، ومقاومة جنود الشياطين إن بقي أياماً معدودة، فمع تكدرها بالذل والصغار تكون زائلة، ولا ترضى نفسه بالحرمان عن السعادة الباقية، ولذا قال فخر الشجعان وسيد ولد عدنان عليه صلوات الله الملك الرحمن لأصحابه:

(أيها الناس إنكم إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من ميتة على الفراش).

وبالجملة: كل فعل يصدر عن الشجاع في أي وقت يكون مقتضى للعقل مناسباً لهذا الوقت واقعاً في موقعه، وله قوة التحمل على المصائب، وملكة الصبر على الشدائد والنوائب، ولا يضطرب من شدائد الأمور، ويستخف بما يستعظمه الجمهور، وإذا غضب كان غضبه بمقتضى العقل، وكان انتقامه مقصوراً على ما يستحسن عقلاً وشرعاً، ولا يتعدى إلى ما لا ينبغي، وليس مطلق الانتقام مذموماً، فربما كان في بعض المواضع مستحسناً عند العقل والشرع، وقد صرح الحكماء بأن عدم الانتقام ممن يستحقه يحدث في النفس ذبولاً لا يرتفع إلا بالانتقام، وربما أدى هذا الذبول إلى بعض الرذائل المهلكة.

وأما العدالة فقد عرفت أنها عبارة عن انقياد القوة العملية للعاقلة، أو امتزاج القوى وتسالمها وانقهار الجميع تحت العاقلة، بحيث يرتفع بينها التنازع والتجاذب، ولا يغلب بعضها على بعض، ولا يقدم على شيء غير ما تسقط له العاقلة، وإنما يتم ذلك إذا حصلت للإنسان ملكة راسخة تصدر لأجلها جميع الأفعال على نهج الاعتدال بسهولة، ولا يكون له غاية في ذلك سوى كونها فضيلة وكمالاً، فمن يتكلف أعمال العدول رياء وسمعة أو لجلب القلوب، أو تحصيل الجاه والمال ليس عادلاً.

وقس على ذلك جميع أنواع الفضائل المندرجة تحت الأجناس المذكورة فإنه بإزاء كل منا رذيلة شبيهة بها، فينبغي لطالب السعادة أن يعرفها ويجتنب عنها، مثلاً السخاء عبارة عن ملكة سهولة بذل المال على المستحق مع كون الغاية الباعثة له عليه مجرد كونه فضيلة وكمالاً، دون الأغراض الأُخر، فبذل المال لتحصيل الأزيد، أو لدفع الضرر، أو نيل الجاه، أو للوصول إلى شيء من اللذات الحيوانية ليس سخاء.

وكذا بذله لغير المستحق والإسراف في أنفاقه، فإن المبذر جاهل لعظم قدر المال، والاحتياج إليه في مواقع لولاه لأدى إلى تضييع الأهل والعيال والعجز عن كسب المعارف وفضائل الأعمال، وله دخل عظيم في ترويج أحكام الملة ونشر الفضيلة والحكمة، ولذا ورد في الصحيفة السليمانية (إن الحكمة مع الثروة يقظان، ومع الفقر نائم).

وربما كان منشأ التبذير عدم العلم بصعوبة تحصيل الحلال منه، وهذا يكون في الأغلب لمن يظفر بمال بغتة من ميراث أو غيره مما لا يحتاج إلى كد وعمل، فإن مثله غافل عن صعوبة كسب الحلال منه، إذ المكاسب الطيبة قليلة جداً، وارتكابها للأحرار مشكل، ولذا ترى أفاضل الأحرار ناقصي الحظوظ منه شاكين عن بختهم، وأضدادهم على خلاف ذلك، لعدم مبالاتهم من تحصيله بأي نحو كان، وقد قال بعض الحكماء: (إن تحصيل المال بمنزلة نقل الحجر إلى قلة الجبل وإنفاقه كإطلاقه).[1]

---

(١) جامع السعادات للنراقي: ج١، ص٦٨ - ٧٠.

أيهما أفضل أنبياء اللّه ورسا

هنالك نزاع معروف ومشهور وقديم أيضا بين الفرق الإسلامية حول مسألة تحديد من هو الأفضل الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين أم ملائكة اللّه سبحانه؟، فاختلفت الأقوال وكل آخذ بمجموعة من الأدلة تؤيد رأيه وتقوي وجهة نظره، ونحن فيما يلي نستعرض للقارىء الكريم خلاصة لأقوال الفرق الإسلامية، مع ذكر القول الحق الذي تبناه أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم مع بعض الأدلة الدالة على ذلك.

رأي أهل السنة في هذه المسألة

وأهل السنة يعتقدون بان عامة المؤمنين هم أفضل من الملائكة، وعليه فالأنبياء ومن باب الأولى يكونون أفضل منهم، قال ابن نجيم المصري: (أن مؤمني البشر أفضل من الملائكة وهو مذهب أهل السنة والجماعة).[١]

وقال النووي في معرض حديثه عن حديث (أنا سيد ولد آدم ولا فخر): (وهذا الحديث دليل لتفضيله صلى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلم على الخلق كلهم لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو صلى اللّه عليه ـ وآله ـ وسلم أفضل الآدميين وغيرهم).[٢]

وقال النووي أيضا: (ومذهب أصحابنا وغيرهم ان الأنبياء أفضل من الملائكة لقوله تعالى في بني إسرائيل وفضلناهم على العالمين والملائكة من العالمين).[٣]

فلا خلاف بينهم في ان الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم أفضل من الملائكة جميعا، ونبينا المصطفى صلى اللّه عليه وآله أفضل الخلق أجمعين، وان الخلاف بينهم قد وقع في تفضيل باقي الآدميين على الملائكة، فمنهم من قال: (أن الصحابة والتابعين والشهداء والصالحين أفضل من سائر الملائكة).[٤]

ومنهم من قال: (أن فسقة المؤمنين أفضل من عوام الملائكة) «نفس المصدر السابق»، ومنهم من قال خلاف ذلك.

ومنهم من قسم الآدميين إلى ثلاثة أقسام والملائكة إلى قسمين وفصل القول فيهم بقوله: (...قسم البشر إلى ثلاثة أقسام: خواص كالأنبياء، وأوساط كالصالحين من الصحابة وغيرهم، وعوام كباقي الناس. وقسم الملائكة إلى قسمين: خواص كالملائكة المذكورين، وغيرهم كباقي الملائكة. وجعل خواص البشر أفضل من الملائكة خاصهم وعامهم، وبعدهم في الفضل خواص الملائكة، فهم أفضل من باقي البشر أوساطهم وعوامهم، وبعدهم أوساط البشر فهم أفضل ممن عدا خواص الملائكة).[٥]

ومنهم من توقف في ذلك كله كما أشار ابن عابدين بقوله: (وقد روي التوقف في هذه المسألة: أي مسألة تفضيل البشر على الملك عن جماعة منهم أبو حنيفة لعدم القاطع، وتفويض علم ما لم يحصل لنا الجزم بعلمه إلى عالمه أسلم، واللّه أعلم) «نفس المصدر السابق».

رأي المعتزلة في هذه المسألة

وقد اشتهر عن المعتزلة تفضيلهم للملائكة على سائر البشر، ولكنهم توقفوا في مسألة التفضيل ما بين نبينا الأكرم صلى اللّه عليه وآله وباقي الأنبياء وما بين الملائكة، فقالوا ان النبي الأعظم صلى اللّه عليه وآله وباقي الأنبياء أفضل من بعض الملائكة، ولكن بعض الملائكة المقربين أفضل منهم ولم يشكوا في ذلك، وقد لخص ابن أبي الحديد المعتزلي رأي أصحابه المعتزلة بالقول: (قال أصحابنا: نوع الملائكة أفضل من نوع البشر، والملائكة المقربون أفضل من نوع الأنبياء، وليس كل ملك عند الإطلاق أفضل من محمد صلى اللّه عليه وآله، بل بعض المقربين أفضل منه، وهو عليه السلام أفضل من ملائكة أخرى غير الأولين، والمراد بالأفضل الأكثر ثوابا، وكذلك القول في موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء. والذي يحكيه قوم من أرباب المقالات أن المعتزلة، قالوا: إن أدنى ملك في السماء أفضل من محمد صلى اللّه عليه وآله ليس بصحيح عنهم...).[٦]

رأي الوهابية في هذه المسألة

وقد تضاربت آراء علماء هذه الفرقة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نرى ابن تيمية يذهب الى التفصيل في هذه المسألة فيقول: (الملائكة أفضل باعتبار البداية والبشر أفضل باعتبار النهاية فباعتبار البداية الملائكة أفضل لأنهم خُلقوا من نور ولا يستكبرون عن اللّه ولا يستحسرون ولا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ولم تُركَّب فيهم الشهوة التي تعصف بهم بل هم عباد مكرمون قائمون بأمر اللّه فهم باعتبار البداية أفضل باعتبار النهاية وكون البشر محل رضا اللّه وأهل كرامته وما أشبه ذلك حتى الملائكة يدخلون عليهم في الجنة يُدخلون السرور عليهم يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فهذا يدل على أن البشر أفضل باعتبار النهاية).

أما ابن عثيمين فذهب إلى التوقف في هذه المسألة وعدم تفضيل احد على الآخر فقال: (الذي أرى الإعراض عن كل هذا، وأن نقول: مسألة التفضيل: أولاً: الجنس مختلف ولا تفاضل بين الجنسين المختلفين، والشيء الثاني: باعتبار المرتبة عند اللّه عز وجل وهذا ليس لنا به علم إطلاقاً، علمه عند اللّه سبحانه وتعالى) «شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ج٢ ص١٠٥».

له أم ملائكته وحملة عرشه؟

أما الشيخ صالح آل الشيخ فقد قطع بتفضيل الأنبياء على الملائكة ابتداءً وانتهاءً فقال: (والملائكة على الصحيح يفضلهم الأنبياء والمرسلون، فالأنبياء والمرسلون والأولياء أفضل من الملائكة على الصحيح في هذه المسألة...والتحقيق أن صالحي البشر الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين من عباد الله أفضل من الملائكة لأدلة كثيرة في هذا المقام، وقد بسطها العلماء في مواطنها) «العقيدة الشيخ صالح آل الشيخ ج١٧ ص١٢٤».

رأي الشيعة الإمامية في هذه المسألة

واعتقاد الشيعة كما هو مشهور عنهم هو تفضيل أنبياء الله سبحانه ورسله على جميع ملائكته ورسله حتى المقربين منهم، وتفضيل نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله على جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الملائكة المقربين وحملة العرش والحفظة وسائر الأصناف الأخرى.

قال الشيخ الصدوق في « الاعتقادات في دين الإمامية ص ٨٩»: (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والحجج صلوات الله عليهم أنهم أفضل من الملائكة).

وقال الشيخ الصدوق أيضا في «الأمالي ص ٧٣٨»: (دين الإمامية هو الإقرار بتوحيد الله تعالى ذكره...والإقرار بأن محمدا «صلى الله عليه وآله» هو سيد الأنبياء والمرسلين، وأنه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقربين، وأنه خاتم النبيين، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة، وأن جميع الأنبياء والرسل والأئمة «عليهم السلام» أفضل من الملائكة).

وقال الشيخ المفيد في «أوائل المقالات ص ٤٩ ـ ٥٠»: (واتفقت الإمامية على أن أنبياء الله تعالى ـ عز وجل ـ ورسله من البشر أفضل من الملائكة).

بعض الأدلة على أفضلية الأنبياء والرسل على الملائكة

عرفنا فيما سبق أن أكثر طوائف المسلمين تذهب إلى القول بتفضيل سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام على سائر الملائكة، وقد شذ البعض عن هذا الإجماع بما لا يؤثر، وقد قدم القائلون بالأفضلية عدة أدلة نستعرض بعضها فيما يلي:

١: إجماع الشيعة على هذه المسألة

من الأدلة التي اعتبرها السيد المرتضى العمدة في إثبات أفضلية الأنبياء والرسل على الملائكة هي الإجماع من قبل الشيعة الإمامية على القول بها، وهذا الإجماع حجة لوجود المعصوم صلوات الله وسلامه عليه في ضمنهم قطعا، وهذه قاعدة مشروحة ومبرهن على صحتها ولا مجال لتتبع أدلتها، قال السيد المرتضى: (والمعتمد في القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائكة إجماع الشيعة الإمامية على ذلك، لأنهم لا يختلفون في هذا، بل يزيدون عليه ويذهبون إلى أن الأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة. وإجماعهم حجة لأن المعصوم في جملتهم) «رسائل المرتضى ج ٢ ص١٥٦».

وكان الأولى منه رحمه الله أن لا يجعل هذا الدليل هو الأول المعتمد في القطع على أفضلية الأنبياء والرسل عليهم السلام على سائر الملائكة، بل كان ينبغي أن يجعل الروايات الشريفة الواردة عن المعصومين هي المعتمد بالدرجة الأولى على إثبات ذلك، ويكون الإجماع هو في المرتبة الثانية.

٢: الأخبار الواردة عن الأئمة المعصومين

قال العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: (والعمدة في ذلك الأخبار الكثيرة الدالة على فضل الأنبياء والأئمة عليهم السلام على الملائكة...) «بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٩٨».

ومن الأخبار ما روي عن الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه: (عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إن الله عز وجل ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، و ركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم) ومن المعلوم ان الأنبياء والرسل ممن غلب عقلهم شهوتهم فيكونون أفضل من الملائكة.

وفي كتاب علل الشرائع للصدوق بسنده عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله انه قال: (...إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وان الملائكة لخدامنا وخدام محبينا. يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا تكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه...) «علل الشرائع للشيخ الصدوق ج ١ ص ٥ ـ ٧».

وتوجد أدلة أخرى اعرضنا عنها خوف الإطالة، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) البحر الرائق: ج١، ص٥٨٢.
(٢) شرح مسلم: ج١٥، ص٣٧.
(٣) شرح مسلم للنووي: ج١٧، ص٣.
(٤) البحر الرائق لابن نجيم المصري: ج١، ص٥٨٣.
(٥) حاشية رد المختار لابن عابدين: ج١، ص٥٦٨.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦، ص٤٣٤.

العلامة ابن فهد الحلي فارس مضمار المناظرة مع المخالفين والمعاندين

اسمه ونسبه

هو الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الأسدي الحلي.

ولادته ونشأته العلمية

ولد قدس سره سنة ٧٥٧ هجرية. ونشأ وترعرع في الحلة التي صارت مركزا علميا بعد سقوط بغداد على يد هولاكو التتار، وكانت الحلة قد سلمت من الغزو المغولي، فأخذت تستقطب الفقهاء والطلاب الفارين من بغداد، وهكذا نشأت مدرسة الحلة، وبرز منها فقهاء فطاحل أمثال المحقق الحلي والعلامة الحلي وولده فخر المحققين وابن أبي الفوارس والشهيد الأول وابن طاووس وابن وارم، وغيرهم من العلماء الأعلام. وفي هذه الأجواء نشأ العلامة ابن فهد قدس سره، ولما أن بلغ سني التمييز والإدراك اتجه إلى طلب العلم وانضم إلى هذا المسلك المقدس، فتتلمذ على يد الشيخ الفاضل علي بن خازن الجابري من تلاميذ الشهيد الأول ردحا من الزمن، وحصل على درجة رفيعة في علمي الفقه والحديث. ولم يكتفِ بهذا، بل تطلعت همته العلية إلى مزيد من العمق والرسوخ في العلوم، فتتلمذ أيضا على ألمعي أساتذة وقته، الشيخ نظام الدين علي بن الحميد النيلي، والشيخ ضياء الدين علي ابن الشهيد الأول، والسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم، واستمر على بسط التلمذة مستفيدا من فيوضات هؤلاء العلماء حتى ترقى إلى درجة الاجتهاد في الفقه، ثم أصبح مرجعا وملاذا للعلماء في الحلة، وفرش بساط التدريس في المدرسة الزينبية في الحلة واجتمع حوله جمع غفير من الطلاب ينهلون من ينابيع علمه ومعرفته، ويقتبسون من أنواره وفيوضاته.

كلمات قيلت في مدحه والثناء عليه

١: قال العلامة المحدث الشيخ يوسف البحراني: (الشيخ جمال الدين، أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الحلي الأسدي الفاضل العالم العلامة الفهامة، الثقة الجليل، الزاهد العابد الورع العظيم القدر، المعروف بابن فهد).[١]

٢: وقال العلامة المحدث الفقيه الشيخ أسد الله التستري الكاظمي: (أبو العباس: الشيخ الأفخر الأجل الأوحد، الأكمل الأسعد، ضياء المسلمين، برهان المؤمنين، قدوة الموحدين، فارس مضمار المناظرة مع المخالفين والمعاندين، أسوة العابدين، نادرة العارفين والزاهدين أبي المحامد، جمال الدين أحمد بن محمد بن فهد الحلي قدس الله روحه).[٢]

٣: وقال العلامة الخوانساري: (الشيخ العالم العامل، العارف الملي، وكاشف أسرار الفضائل بالفهم الجلي، جمال الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد ابن فهد الأسدي الحلي، الساكن بالحلة السيفية والحائر الشريف حيا وميتا، له من الاشتهار بالفضل والإتقان، والذوق والعرفان، والزهد والأخلاق، والخوف والإشفاق وغير أولئك من جميل السياق، ما يكفينا مؤنة التعريف، ويغنينا مرارة التوصيف، وقد جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول، والقشر واللب، واللفظ والمعنى، والظاهر والباطن، والعلم والعمل بأحسن ما كان يجمع ويكمل).[٣]

٤: وقال الفقيه المامقاني: (أحمد ابن شمس الدين بن فهد الأسدي الحلي رحمه الله و لقبه جمال الدين، وكنيته أبو العباس، إلى أن قال: له من الاشتهار بالفضل والعرفان، والزهد والتقوى،والأخلاق والخوف والإشفاق ما يغنينا عن البيان، وقد جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأصول واللفظ والمعنى، الحديث، والفقه، والظاهر والباطن، والعلم والعمل بأحسن ما كان يجمع).[٤]

٥: وقال خير الدين الزركلي: (أحمد بن محمد بن فهد الأسدي ا لحلي، فقيه إمامي. مولده في الحلة السيفية وإليها نسبته، ووفاته وقبره بكربلاء. له «المهذب البارع إلى شرح النافع»و«الموجز الحاوي» و«المحرر» كلها في الفقه، و«عدة الداعي»

و«التحـصين في صـفـات العارفين»).[٥]

٦: أمـا الـميرزا النوري فقد أطال في ذكر فضائلـه وكراماته وجليل منزلتـه فقـال: (صاحـب المقامات العالية في العلم والعمل، والخصال النفسانية التي لا توجد إلا في الأقل، جمال الديـن أبـى العبـاس أحمـد ابـن شـمـس الديـــن محمـد بن فهد الأسـدي الحلي... صاحب التصانيف الرائقة الشائعة كالمهذب، وعدة الداعـي، والتحصين في العزلة...وقال النقاد الخبير الشـيخ عبـد النبي الكاظمي في ترجمتـه في تكملـة الرجـال: كان زاهـدا مرتاضـا عابـدا، يميل إلـى التصـوف، وقد ناظر في زمان ميرزا اسـبند التركمان والي العـراق علماء المخالفـين فأعجزهم، فصار ذلـك سـببا لتشـيع الوالـي، وزيـن الخطبة والسـكة بأسـمـاء الأئمة المعصومـين عليهم السلام).[٦]

بعض كراماته قدس الله روحه

ذكرت للشـيخ ابـن فهد الحلـي كرامات كثيرة نختار منها كرامتين، الأولى هي التي أشـار إليها الميرزا النوري بقوله: (وقد تقدم في ترجمة السـيد علي خان الحويزاوي ذكر رسـالة له فيهـا كرامة باهرة لـه، فراجع)، وهـذه الرسـالة الـتي يتحدث عنهـا الميرزا النـوري قـدس الله روحـه هـي الـتي كتبها الشـيخ ابـن فهـد الحلـي والتي (ذكـر فيها وصايـا لـه، ومـن جملة ذلـك أنه ذكـر فيه أنه سيظهر الشـاه إسماعيل الماضي، حيث أخبر أمير المؤمنين عليه السـلام يوم حرب صفـين بعدمـا قتل عمـار بن ياسـر ببعض الملاحم من ظهور جنكيزخان، وظهور الشـاه إسماعيل الماضي، ولذلك قد وصى ابن فهد في تلك الرسـالة بلزوم إطاعة ولاة حويزة ممن أدرك زمان شاه إسماعيـل المذكـور لذلك السـلطان لظهور أحقيته وبهور غلبته).[٧]

أما الكرامـة الثانية فهي المنام الذي رآه الشيخ ابن فهد الحلي قدس الله روحه، وهو كما حكاه الميرزا النـوري بقوله: (ويروى أنه رأى في الطيـف أمـير المؤمنـين صلوات الله عليه آخذا « بيد السـيد المرتضى رضي الله عنه يتماشـيان في الروضة المطهرة الغروية، وثيابهما من الحرير الأخضر، وتقدم الشيخ أحمد بن فهد وسلم عليهما، فأجاباه. فقال السيد له: أهلا بناصرنا أهل البيت. ثم سـأله السـيد عن أسماء تصانيفه، فلما ذكرها له قال السيد: صنف كتابا مشتملا على تحرير المسـائل، وتسـهيل الطرق والدلائل، واجعل مفتتـح ذلـك الكتـاب: بسـم الله الرحمـن الرحيـم الحمـد لله المقـدس بكمالـه عـن مشـابهة المخلوقات. فلما انتبه الشيخ الأجل شـرع في تصنيف كتـاب التحريـر، وافتتحه بما ذكره السيد).

وفاته ومدفنه

تـوفي العلامـة ابـن فهد عن عمـر ناهز خمسا وثمانين سنة في عام ٨٤١ هجرية. وفي هامش رجال السيد بحر العلوم قال: (وقبر ابن فهد هذا بكربلاء معروف مشـهور يزار، وكان وسـط بسـتان بجنـب المـكان المعروف بالمخيـم، وعليه قبة مبنية بالقاشـاني، وقد جـدد بنـاؤه في عصرنـا وفتح بجنبه شـارع باسـمـه، وبنيت حوله دور ومسـاكن، ويقال: إن السـيد صاحـب الريـاض الطباطبائـي الحائري قدس سره كان في عصره كثيرا ما يتردد إلى قبره ويتبرك به).

وقـال صاحب كتـاب روضـات الجنات: (وقبره رحمه الله معروف بكربلاء المشـرفة وسـط بسـتان يكون بجنب المخيـم الطاهر، وقـد تشـرفت بزيارتـه هناك، وكان السـيد صاحب الرياض يتـبرك بذلك المزار كثيرا، ويكثر الورود عليه).

وجـاء في الأعيـان: (ولـد سـنة ٧٥٦ أو ٧٥٧ وتـوفي سـنة ٨٤١ عـن ٨٥ سـنة ودفن بكربـلاء بالقـرب من مخيم سـيد الشـهداء عليه السـلام في بسـتان هناك تسميه العام بسـتان ابـن الفهد وقـبره مـزور متبرك به وعليه قبة).[٨]



---

(١) الكشكول للبحراني: ج١، ص٣٠٤.

(٢) مقابس الأنوار ونفائس الأسـرار في أحكام النبي المختـار وعترتـه الأطهـار صلـوات الله عليهم مـا توالت الأعصار والأدوار: ص١٨.

(٣) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: الطبعة الحديثة، ج١، باب ما أوله الهمزة، ص٧١.

(٤) تنقيـح المقـال: ج، بـاب أحمـد، ص٩٢، تحت رقم ٥١٠.

(٥) الأعلام: ج١، ص٢٢٧.

(٦) خاتمة المستدرك: ج٢، ص٢٩٢ ـ ٢٩٤.

(٧) خاتمـة المسـتدرك للمـيرزا النـوري: ج٢، ص١٧٢ ـ ١٧٣.

(٨) أعيان الشيعة: ج٣، ص١٤٧.

من معاجز الامام الحسن المجتبى عليه السلام

إحياؤه (عليه السلام) ميّتاً

عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: جاء أناس إلى الحسن (عليه السلام) فقالوا له: أرنا ما عندك من عجائب أبيك التي كان يريناها. قال: وتؤمنون بذلك؟ قالوا كلهم: نعم، نؤمن به والله. قال: فأحيا لهم ميتا بإذن الله تعالى، فقالوا بأجمعهم، نشهد أنك ابن أمير المؤمنين حقا، وأنه كان يرينا مثل هذا كثيرا.

إتيانه (عليه السلام) بالمطر والبرد واللؤلؤ، وأخذه الكواكب من السماء

عن إبراهيم، عن منصور، قال: رأيت الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد خرج مع قوم يستسقون، فقال للناس: أيما أحب إليكم: المطر أم البرد أم اللؤلؤ؟ فقالوا: يا بن رسول الله، ما أحببت فقال: على أن لا يأخذ أحد منكم لدنياه شيئا. فأتاهم بالثلاث. ورأيناه يأخذ الكواكب من السماء، ثم يرسلها، فتطير كما تطير العصافير إلى مواضعها.

تلبية الظباء وفتح أبواب السماء ونزول النور والزلزلة

عن محمد بن حجارة، قال: رأيت الحسن بن علي (عليهما السلام) وقد مرت به صريمة من الظباء، فصاح بهن، فأجابته كلها بالتلبية حتى أتت بين يديه. فقلنا: يا ابن رسول الله، هذا وحش، فأرنا آية من أمر السماء. فأومأ نحو السماء، ففتحت الأبواب، ونزل نور حتى أحاط بدور المدينة، وتزلزلت الدور حتى كادت أن تخرب. فقلنا: يا بن رسول الله ردها. فقال لي: نحن الأولون و الآخرون، ونحن الآمرون، ونحن النور، نور الروحانيين، ننور بنور الله، ونروح بروحه، فينا مسكنه، وإلينا معدنه، الآخر منا كالأول، والأول منا كالآخر.

استخراجه الماء من سارية المسجد ولبناً وعسلاً

عن محمد بن جبرئيل، قال: رأيت الحسن ابن علي (عليهما السلام) وقد استسقى ماء، فأبطأ عليه السؤال، فاستخرج من سارية المسجد مقابل الروضة التي فيها قبر فاطمة (عليها السلام). ماء فشرب وسقى أصحابه، ثم قال: لو شئت لسقيتكم لبنا وعسلا. فقلنا: فاسقنا. فسقانا لبنا وعسلا من سارية المسجد.[1]

---

(١) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص١٦٧ ـ ١٧١.



العالم الذي أسلم وجهه إلى الله

ينقل أن المرحوم آية الله السيد حسين حجت الكوه كمري رحمه الله وهو أحد تلامذة صاحب كتاب (الجواهر) ومن المجتهدين المشهورين الذين كان لهم حوزة دراسية ممتازة كان في كل يوم يأتي في ساعة معينة إلى أحد مساجد النجف الأشرف للتدريس، وكما نعلم فإن حوزة التدريس تضم فضلاً عن دروس الفقه والأصول مقام الرئاسة والمرجعية غالباً، والمرجعية بالنسبة إلى أكثر طلاب العلوم الدينية تعد تحولاً من الصفر إلى اللانهاية، لأنّ الطالب الذي لم يتمسّك بالمرجعية يعدُّ كمّاً مُهملاً لا يُلتفت إلى رأيه ولا يهتم بعقيدته وربما يعيش حياة مادية خشنة وقاسية، ولكنه بمجرد أن يتحول إلى مرجع فإن رأيه يصبح مطاعاً لدى مؤيّديه، ومن الناحية الاقتصادية سيكون تام الاختيار في الحقوق الشرعية، فالطالب الذي نال حظوة المرجعية إذن يكون قد قطع مرحلة حساسة من تاريخ حياته.

والمرحوم السيد حسين كوه كمري كان في هذه المرحلة، وفي يوم من الأيام كان قادماً من مكان - مثلاً رؤية شخص - ولاحظ أنه لم يبق لوقت تدريسه سوى نصف ساعة ففكر مع نفسه ورأى أنه إذا ذهب بهذا الوقت القصير إلى منزله فقد يفوت عليه وقت الدرس فصمّم على الذهاب إلى مكان الدرس وانتظار طلابه ولما وصل إلى المكان المقرّر شاهد في أقصى المسجد شيخاً متحمساً يجلس بين طلابه وهو يلقي عليهم درسه، أنصت المرحوم السيد حسين إلى حديثه فشعر أن هذا الشيخ الذي لا يروق لأحد شكلُه محقّق من الطراز الأول، وفي اليوم التالي قرّر السيد المجيء إلى المسجد عن عمد ليستمع إلى هذا الشيخ المحاضر، فجاء واستمع وناله العجب مما سمع، وأخذ في كل يوم يأتي في الوقت المعين ليستمع أكثر حتى حصل له اليقين بأن هذا الشيخ أفضل منه في العلم والبيان والإبداع وإنه بنفسه يستفيد منه شيئاً جديداً، وطلابه يستفيدون من هذا الشيخ أكثر ممّا يمكن أن يستفيدوا منه.

وهكذا وجد السيد نفسه في صراع بين الآخرة والدنيا، فالآخرة تقتضي التسليم للأفضل، والدنيا تقتضي العناد وحب الذات، ولكنه في اليوم التالي وعندما اكتمل عدد طلابه افتتح السيد حديثه قائلاً: أريد اليوم أن أحدثكم في موضوع جديد وهو أن هذا الشيخ الذي يحتل أقصى المسجد مع هذه المجموعة من الطلاب أقدر مني على التدريس وأكفأ مني به، وأنا أيضاً ممن يستفيد منه ويحسن بنا جميعاً أن نجلس منه مجلس الطلاب إلى أستاذهم، وانتقلوا جميعاً إلى حلقة درس هذا الشيخ المهمل الذي تبدو عليه آثار الفقر.

ولم يكن هذا الشيخ سوى من عُرِفَ فيما بعد باسم آية الله الشيخ مرتضى الأنصاري من أهالي (شوشتر) - مدينة في إيران - والذي نال لقب أستاذ المتأخرين، وكان الشيخ قد عاد توّاً من سفر دام عدة سنوات إلى مشهد وأصفهان وكاشان وحمل من سفره هذا ثروة علمية ضخمة هائلة وخاصة من دروس المرحوم الحاج ملاّ أحمد النراقي في كاشان.

وكل إنسان - مثل هذا السيد الكوه كمري - يمتلك إرادة التسليم لمقتضيات الآخرة فإنه يغدو مصداقاً لمن (أسلم وجهه لله).(١)

---

(١) العدل الإلهي: ص٣٦٤، قصص وخواطر للشيخ البحراني: ص١١٠.

الطفل المتواكل

يقول عالم النفس الأمريكي «أريك أريكسون» إن الإنجاز الاجتماعي الأول للطفل، هو رغبته في ترك أمه له بعيداً عن نظرها، دون قلق أو غيظ مفرط.

وقد يحتج الطفل نتيجة انفصاله عن أمه، ويتجلى ذلك على شكل احتجاج بسيط. لدى ذهابه إلى المدرسة في الأسبوع الأول منها. وقد يكون الاحتجاج أقوى من ذلك بحيث يغدو الطفل شديد التواكل، فيهتم اهتماماً مرضياً بأمه، وبأماكن وجودها. ولا تعد التواكلية أي حب الاتكال على الآخرين في العادة مشكلة فعلا، لأن الطفل البشري غير معد إعداداً كافياً بحيث يستطيع إعالة نفسه، إذا ما قورن بصغار الأنواع الحية الأخرى.

مظاهر السلوك التواكلي عند الطفل

هو الإفراط في طلب المساعدة غير الضرورية من الآخرين، إذ يذهب الطفل المتواكل إلى أحد الراشدين طلباً للمساعدة، ولا يقوم بالمبادرة من تلقاء نفسه، ولا يطلب المساعدة لدى مواجهته عقبة فعلية فقط، بل ينشد المساعدة أيضاً لدى مباشرته للأعمال المتسمة بطبيعة روتينية.

كما أن الطفل المتواكل يرغب في جذب الانتباه إليه فيريد من الراشد القيام بمحادثته باستمرار، وملاحظته وإلقاء نظرة على ما ينجزه من أعمال، إضافة إلى أنه يبحث باستمرار عن موافقة الآخرين واستحسانهم له، ومعاودة التأكد من ذلك، وبذلك يظهر عدم قدرته على الاعتماد على كفاءته الخاصة.

لقد لاحظ بعض الباحثين كيف يملي معظم الأطفال سلوكاً معيناً على أمهاتهم نتيجة لطلباتهم الملحة، كما تفيد بعض الأمهات بأنهن يستجبن مكرهات لمطالب يعتبرنها غير مرغوب بها فعلاً.

ويحاول صغار الأطفال الإثارة والاتصال الاجتماعي. وعلى سبيل المثال نجد الطفل في الأشهر الأولى من حياته يضحك ويبتسم لدى رؤية أمه، كم يحاول الوصول إليها، وسريعاً ما يتعلم أن بكاءه يضمن له انتباه أمه، وأن ابتسامته ورفع يديه باتجاه أمه يوفران له فرصة جيدة لرفعه وحمله، وقد يقترب الطفل من أمه مهللاً وممارساً حركات تدخل البهجة إلى قلبها ليضمن استمرار مداعبته ودغدغته وملاعبته، وفي الحقيقة للأم تأثير هائل في سلوك طفلها إذ إن تشجيعها له على بعض النشاطات التي يقوم بها، ومنعها لبعض النشاطات الأخرى يساعد على تشكيل شخصيته.

كيفية تشكيل السلوك التعلقي عند الطفل

إن التفاعل بين الأم والطفل يساعد على تشكيل السلوك التعلقي عند الطفل. وبالمقابل يتشكل عند الأم سلوك تعلقي به، وخصوصاً في الأيام المبكرة من حياة الطفل. إذ إنه نادراً ما يخرج عن نطاق تفكير الأم، ونادراً ما تخرج عن ساحة تفكيره. وبذلك تتأثر الأم لكن ما يحدث له، ويتأثر غالباً بالمشكلات القوية التي تواجهها وتؤثربها. كما أن تفاعل الطفل مع أمه منذ أن يكون عمره شهراً واحداً يختلف عن تفاعله مع الناس المحيطين به، ويعتقد معظم العلماء أن هذا نتيجة للوضع الغذائي له، والفكرة هنا هي أن تجربة الرضاع عند الطفل تكون أولى خبراته في عملية المشاركة الاجتماعية، وتمنحه الفرصة ليتعلم حتى الوجود مع الآخرين كما تعطيه الأساس لبناء علاقاته الاجتماعية. وفضلاً عن ذلك فإن ما تقدمه الأم من مساعدة لطفلها لتحرره من الجوع والألم والبرد ويحدث في داخل الطفل حاجة عاطفية أساسية إلى التواكل، وبمعنى آخر فإن الحب المبكر الذي يتعلمه الطفل هو نوع من الحب الكاذب يبغي من ورائه الحصول على بعض المكاسب. وعلى الطفل أن يتحرك خارج مدار الأمن الكائن حول أمه، وعليه الاندفاع بقوة لإيجاد المكان الخاص به في هذا العالم.

إن السنة الأولى من حياة الطفل سنة حرجة، وذلك بالنسبة لتعلق الطفل بأمه، فأثناء هذه السنة يظهر جميع الأطفال تقريباً روابط قوية مع الأم، أو مع من يقوم مكانها، فالكائنات البشرية تتميز بطفولة عاجزة طويلة الأمد، ولا تستطيع البقاء على قيد الحياة دون حماية مستمرة. وارتباط الطفل بالأم مسألة ذات أهمية حيوية ليس فقط من أجل بقائه الجسمي، إنما أيضاً من أجل سلامته النفسية، لذلك يقوم الطفل بتنمية رباط حب يربطه بأمه ويربط أمه به.

إلا أن أعراض التواكلية تتغير طبيعتها بتغير العمر، لذلك فإن الصفات السلوكية الآنفة الذكر سوية تماماً بالنسبة لطفل صغير جداً، ويكون السلوك التواكلي في أوجه، بين الشهر الثاني عشر والثامن عشر من العمر. وينفصل معظم الأطفال عن أمهاتهم في حوالي السنة الثالثة والنصف من العمر، ولفترة زمنية قصيرة كحد



أدنى. يجب أن تتخذ الحذر قبل هذه السن لدى تحديد السلوك التواكلي وعدّه سلوكاً مشكلاً. كما أن مفهوم التواكلية يتغير بتغير السن، وباستطاعتنا فهم مشكلات السلوك التواكلي. إذا تناولنا المشكلة من خلال وجهة نظر أكثر اتساعاً. بحيث نرى كيف يغدو الطفل شخصاً فرداً له استقلاليته.

ويبدأ انفصال الطفل الرضيع عن أمه، ويبدأ وجوده المستقل منذ لحظة الولادة، وذلك عندما يتوقف عن تلقي غذائه عن طريق الحبل السري. إلا أنه في هذه المرحلة، غير منفصل عنها سيكولوجياً، فهو لايدرك ذاته كشخص، ومن المؤكد إيضاً أنه لا يدرك ذاته كفرد منفصل عن الآخرين.

إن الطفل في هذه المرحلة لا يعي ذاته، ولكن ينمو هذا الوعي تدريجياً، ولكي ينمو هذا الوعي، يجب أن يصبح الطفل أولاً، متعلقاً بأمه برباط الحب البالغ الأهمية. ومن خلال معايشة أمه له يفسح المجال أمامه للقاء مع عالمه، وهذا اللقاء عندما يتكرر يمنح الطفل الوعي الاجتماعي. ويمكن الحديث عن الطفل كشخص عندما يتكرر يمنح الطفل الوعي الاجتماعي. ويمكن الحديث عن الطفل كشخص عندما يعي ذاته كفرد منفصل فقط. أي كموجود اجتماعي. ولكي يصبح فيما بعد شخصاً له وجوده الخاص، يجب أن يعزل ذاته جزئياً على الأقل عن حماية الأم.

العوامل المؤدية إلى تكوين السلوك التعلقي عند الطفل

عندما يولد الطفل يكون مجهزاً وراثياً لكي يستجيب بطرق معينة للعالم من حوله.

وهذا يعني، أنه يولد بنمط من التجهيزات الجسمية والنفسية، تجعله حساساً لأنواع معينة من الإثارة في محيطة، فالوجه الإنساني المتحرك مثلاً، يؤدي إلى «إطلاق» الابتسامة.

منذ أن كان صغيراً. وابتسامة الطفل تربطه بأمه أكثر من أي شيء آخر، وتضفي على نفسها الحب والفرح، ومن خلال بكائه وثرثرته وضحكته وابتسامته يجذبها ويحتفظ باهتمامها، وكلما زاد اهتمامها به زادت ضحكاته وابتساماته، ومن الملاحظ أن الطفل حتى في أيامه الأولى يمكن استرضاؤه وتهدئته عن طريق الاتصال الاجتماعي، من تربيت على الظهر وحمل ومناغاة. إنه يستجيب للناس حتى في أسابيعه الأولى، بالرغم من عدم قدرته على التمييز بين شخص وآخر. فإذا اقترب منه أحد، يغير وضعه ويلاحقه بعينيه، كما يمد جسمه ويقف عن البكاء عندما يرى وجهاً أو يسمع صوتاً. هذه الأشياء جميعها تدعم السلوك التعلقي عنده.

وعندما ينهي الطفل شهره الرابع، يسلك عموماً بالطريقة الودية ذاتها تجاه جميع الناس، وذلك كما كان يفعل سابقاً. إلا أنه يستجيب لأمه على نحو أكثر وضوحاً، فهو يبتسم لها، ويقتفي أثرها بعينيه، أكثر مما يفعل ذلك مع الآخرين. ويبكي عندما تغادر الغرفة ويود اللحاق بها، ويتضح سلوكه التعلقي هنا في عجز الموجودين في الغرفة عن استرضائه أو تهدئته. وتبدو مظاهر الأمن عند الطفل عندما تكون الأم بجانبه، فتراه مثلاً يشعر بحرية استكشاف بيئته. كما يمارس نشاطاته بمزاج مسترخ غير متوتر.

وفي حال عدم وجودها معه في الغرفة يمكث في مكانه، وتعد المرحلة التي تتكون فيها تعلقات الطفل الأولى، مرحلة حساسة، فقد يؤدي تمزق الروابط العاطفية إلى انعكاسات خطيرة عليه. وإن وجود شخص أو أكثر، إلى جانب الطفل، أثناء الأشهر الثمانية عشرة الأولى من حياته، أمر هام جداً. وهذا يعني وجوب وجود شخص واحد على الأقل ليوفر الرعاية والإثارة الغنية للطفل، والتي تأخذ شكل الرؤية والسمع واللمس، ويرى بعض العلماء أنه يجب أن تمتد فترة ملازمة الطفل إلى أكثر من ثمانية عشر شهراً، لأن سلوك التعلق عند معظم الأطفال يستمر في الظهور بشكل قوي ومنتظم حتى نهاية السنة الثالثة، ويبدو خلال هذه المرحلة خوف الطفل من الانفصال عن أمه.

ولهذا على الأم أن تأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار عندما تريد وضع الطفل في الحضانة، فالأطفال عموماً، غير قادرين قبل نهاية السنة الثالثة على الشعور بالأمن في أمكنة غريبة، حيث تحل شخصيات أخرى محل الأم، كالأقارب أو المعلمات، ففي هذه السن فقط أي سن الثالثة يبدأ الأطفال في تكوين شخصياتهم المستقلة والمنعزلة جزئياً.[١]

---

(١) تربية الطفل مشكلات وحلول للدكتورة سلوى مرتضى :٦٨-٧٢.

سنة ا

طبقـــات الغـــلاف الج
ric Layers

ما هذا الاكتشاف؟

يمتلك الغلاف الجوي للأرض طبقات متمايزة من الهواء، كل طبقة منها تنفرد بدرجات حرارتها، كثافتها، رطوبتها، وغيرها من الخصائص.

المكتشف هو:

ليون فيليب تيسيرين دي بور.

ما الذي يمكنه أن يكون أكثر أساسية لفهم كوكب الأرض من معرفة ما يقع بين سطح الأرض ومركزه، أو بين سطحه والفضاء الخارجي؟

ومع ذلك بزغ فجر القرن العشرين على العلم وهو لا يمتلك أدنى فكرة عما كان عليه الغلاف الجوي بأكثر من ميلين اثنين فوق سطح الأرض.

كان تيسيرين دي بور أول من وسع العلم ليستوعب الطبقات العليا من الغلاف الجوي للأرض، فقد أمدّنا اكتشافه بأول صورة دقيقة لغلافنا الجوي وأرسى أسس فهمنا للظواهر الجوية (العواصف، الرياح، السحب... الخ)، كما كان تيسيرين دي بور أول من يأخذ بأدوات علمية إلى أعالي الجو.

كيف جاء هذا الاكتشاف؟

من مواليد باريس عام ١٨٥٥م، عيّن ليون فيليب تيسيرين دي بور (Leon Philippe Teisserenc de Bort) رئيسا للمركز الإداري لدراسات الأرصاد الجوية الوطنية في باريس وهو بعمر الثلاثين، هناك أصابته خيبة أمل لاعتقاده بأن عجز العلم عن فهم الطقس ناجم عن قلة معرفة بالجو لأكثر من ثلاثة أو أربعة كيلومترات فوق سطح الأرض.

بالطبع، كانت الرحلات المنطادية الجوية (المملوءة بالهواء الحار والغاز) التي قام بها البعض، قد حملت أجهزة إلى الجو لدراسته، ولكنها لم تخاطر قط بالصعود لمستوى أعلى من أربعة أو خمسة كيلومترات بالجو، طالما تفتقد هذه المناطق للأوكسجين الكافي لتنفس رواد هذه المناطيد.

وفي عام ١٨٩٥م، تخلّى يسيرين دي بور عن منصبه مكرّسا جل وقته لتطوير مناطيد غازية عالية الانطلاق وبدون رواد من البشر، وذلك في قصره بفيرسيل (في ضواحي مدينة باريس)، على مر السنوات الخمس اللاحقة، صمّم تيسيرين دي بور علبة من الأدوات موضوعة في سلة مصنوعة من أغصان الأشجار اللدنة لتطير بها مناطيده، كانت مجموعة من المحارير والمضاغيط قد رُبطت إلى أجهزة قياس بحيث يحصل صاحبها على قياسات مدوّنة للظروف الجوية العليا حالما يعود المنطاد إلى الأرض، كما صمّم نظام إطلاق ومظلة لحمل السلة بعد إطلاقها من المنطاد الطائر وذلك بغرض إنزال علبة أدواته برفق نحو الأسفل.

وجد تيسيرين دي بور بأن اقتفاء السلة

الاكتشاف: ١٩٠٢م

ـــوي

Atmospher

والمظلة أكثر صعوبة مما تخيّله للوهلة الأولى، حتى بعد الاستعانة بتلسكوب، فقد اقتضت كل رحلة للمنطاد تدافعاً مجنوناً عبر الريف للإبقاء بالعلبة الهابطة ضمن مستوى النظر، ومع هذا لم يعثر على بعض هذه العلب قط، فقد غاصت بعضها في الأنهار والبحيرات، وتحطمت أخرى بعد فشل عمل مظلاتها.

أستمر تيسرين دي بور بالمواظبة على عمله - واندهش من هول ما اكتشف، كانت درجات حرارة الجو تنخفض بمعدل ثابت مقداره ٦,٥ درجة سيليزية لكل كيلومتر من العلو (١٩ درجة فهرنهايت لكل ميل)، وقد كان هذا الانخفاض متوقعاً.

حدث ما لم يكن في الحسبان على علو نحو ١١ كم (٧ ميل، أو قرابة ٣٧٠٠٠ قدم)، حيث توقفت الحرارة كلياً عن الانخفاض وحافظت على مستوى مقداره - ٥٣ درجة سيليزية لعلو فاق ٤٨٠٠٠ قدما (وهو العلو الذي كان بمقدور مناطيد تيسرين دي بور بلوغه).

لم يستوعب تيسيرين دي بور فكرة أن تكون الحرارة قادرة على التوقف عن الهبوط، فتوقع بأن تكون أدواته قد صعدت إلى علو تدفئ فيه حرارة الشمس المحرار لتعوّض بذلك عن الهبوط المستمر لحرارة الجو، ومن هنا عزم على إطلاق مناطيده أثناء الليل تلافياً لاحتمالية التسخين الشمسي هذه - رغم صعوبة اقتفاء نزول المظلة، فتكررت نتائجه حتى في الليل، وبقيت الحرارة ثابتة فوق مستوى ١١ كم.

بعد إجراء ٢٣٤ تجربة، سلم تيسيرين دي بور بدقة نتائجه وبوجود طبقتين منفصلتين من الغلاف الجوي، فبالقرب من سطح الأرض، تقع طبقة سفلى بسمك ١١ كم تحدث فيها التغيرات الحرارية المسؤولة عن حدوث التيارات والرياح والغيوم والطقس، وفوقها طبقة أخرى تتمتع بدرجة حرارية ثابتة تسمح باستقرار الهواء ضمن طبقات هادئة مرتّبة.

أطلق دي بور على الطبقة السفلى اسم (troposphere) أو (التروبوسفير) المشتق من كلمات إغريقية تعني (كرة التغير)، وعلى الطبقة العليا اسم (stratosphere) أو (الستراتوسفير)، المشتق كذلك من كلمات إغريقية تعني (كرة الطبقات).

لا يزال هذا الاكتشاف لتيسيرين دي بور أساس فهمنا للغلاف الجوي.

حقائق طريفة

يدرك العلماء الآن بأن الغلاف الجوي يتألف من طبقات عدة، ولكن تبقى التروبوسفير الطبقة التي يقع في نطاقها طقس العالم أجمع.[١]

---

(١) قصة أعظم ١٠٠ إكتشاف علمي على مر الزمن، لكندال هيفن.



الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في الفكر الغربي

الكاتب الروسي الكبير تلستوي:

ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا شخصٍ أوتي قوة، ورجل مثل هذا لجدير بالاحترام والإجلال... يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم، وأن شريعةَ محمدٍ ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة.

الكاتب الكبير جورج برناردشو:

لأني أكنّ كل تقدير لدين محمد، لحيويته العجيبة فهو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة وصالح لكل العصور، لقد درست محمداً هذا الرجل العجيب، وفي رأيي أنه يجب أن يسمى منقذ البشرية، وأوربا في العصر الراهن بدأت تعشق عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها.

غاندي في حديث لجريدة (ينج إنديا):

أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر.. لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعد، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته، هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف، بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة.

